فجر الهدى والإيمان

أطفال حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مروان بن الحكم



إعداد الدكتور
محمد حسني مصطفى

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

عنوان الدار

سُوريَة - حَلَبْ - خلفَ الفُنْدُقِ السيّاحي

شارع هدى الشِعْرَاويْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١، ٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرته في سطور

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو عبد الملك ، خليفةٌ أموي ، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص ، وإليه ينسب بنو مروان ودولتهم المروانية .

ولد بمكة في السنة الثانية للهجرة ، ونشأ بالطائف ، وسكن المدينة . فلما كانت أيام عثمان رضي الله عنه جعله في خاصته ، واتخذه كاتباً له . ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم ، يطالبون بدمه .

وقاتل مروان في وقعة الجمل قتالاً شديداً ، وانهزم أصحابه فتوارى ، وشهد صفين مع معاوية . ثم أمّنه علي ، فأتاه وبايعه ، وانصرف إلى المدينة ، فأقام إلى أن وَلِيَ معاوية الخلافة ، فولاه المدينة (سنة ٤٢ -٤٩هـ) وأخرجه عبد الله بن الزبير ، فسكن الشام .

ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بني أمية ، فأجلوهم إلى الشام ، وكان فيهم مروان . ثم عاد إلى المدينة ، وحدثت فتن كان له ضلع فيها ، وانتقل إلى الشام مدة ، ثم سكن تدمر .

ومات يزيد بن معاوية ، وتولّى ابنه معاوية بن يزيد ، ثمّ اعتزل معاوية الثاني (ابن يزيد) الخلافة ، وكان مروان قد أسنّ ، فرحل إلى الجابية في شمالي حوران ، ودعا إلى نفسه ، فبايعه أهل الأردن (سنة ٦٤ هـ) ، ودخل الشام فأحسن تدبيرها ، وخرج إلى مصر ، وقد فشت في أهلها البيعة لابن

الزبير . فصالحوا مروان ، فولّى عليهم ابنه عبـد الملـك ، وعـاد إلى دمشـق ، وتوفّي فيها بالطاعون سنة خمس وستين ، ومدة حكمه تسعة أشهر ونيّف . وهو أول من ضرب الدنانير الشامية ، وكتـب عليهـا "قـل هـو ا لله أحـد " ، وكان طويلاً مديد القامة ، قد نقش على خاتمه " العزة لله " . وله أعقـاب في صعيد مصر ، وفي قرية دابق ، شمالي حلب .وأمه آمنة بنت علقمة بـن أميـة . وكانت تكنّى أم عثمان .

بـــنـــوه

ولد لمروان ثلاثة عشر ولداً من ستّ نساء . عبـد الملـك ، وبـه كـان يكنى ، ومعاوية وأم عمرو ، وأمهم عائشة بنت معاوية بـن المغـيرة الأمويـة . وعبد العزيز بن مروان وأم عثمان وأمهما ليلى بنت زبان الكلبية . وبشر بن مروان ، وعبد الرحمن ، وأمهما قُطيّة بنت بشر بن عامر . وأبان بن مـروان ، وعبيد ا لله ، وعبد ا لله . وأيوب وعثمان وداود ورملة ، وأمهم أم أبان بنـت عثمان بن عفان . وعمرو بن مروان ، وأم عمرو ، وأمهما زينـب بنـت أبـي سلمة بن عبد الأسد . ومحمد بن مروان ، وأمه زينب أم ولد .

تقريب سيدنا عثمان رضي الله عنه له

قال ابن سـعد في الطبقـات الكـبرى : " قُبِـضَ رسـول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم ومروان بن الحكم ابن ثماني سنين ، فلم يزل مع أبيه بالمدينة حتـى مات أبوه الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بـن عفـان رضـي ا لله عنـه .

فلم يزل مروان مع حميه[١] وابن عمه عثمان رضي ا لله عنه ، وكان مروان كاتباً له ، وكان الناس ينقمون على عثمان تقريبه مروان وطاعته له ، ويرون أن كثيراً مما ينسب إلى عثمان لم يأمر به ، وأن ذلك عن رأي مروان دون عثمان . فكان الناس قد شنفوا[٢] لعثمان لما كان يصنع بمروان ويقربه ، وكان مروان يحمله على أصحابه وعلى الناس ، ويبلغه ما يتكلمون فيه ويهددونه به ، ويريه أنه يتقرب بذلك إليه . وكان عثمان رضي ا لله عنه رجلا كريماً حيّاً سليماً ، فكان يصدقه في بعض ذلك ، ويرد عليه بعضاً . وينازع مروان أصحاب رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بين يديه فيردّه عن ذلك ويزبره[٣] . فلماّ حُصِرَ عثمان كان مروان يقاتل دونه أشدّ القتال[٤] .

إصابة مروان وهويدافع عن الخليفة

عن أبي حفصة مولى مروان بن الحكم رضي ا لله عنه قال : خرج مروان بن الحكم يومئذٍ(يوم الدار ، حين هوجم عثمان رضي ا لله عنه) وهو يرتجز ، ويقول :من يبارز ؟ فبرز إليه عروة بن شييم بن البيّاع الليثي ، فضرب مروان على قفاه بالسيف[٥] . فخر مروان لوجهه . فقام إليه عُبيد ابن رفاعة الزّرقي بسكين معه ليقطع رأسه ، فقامت إليه أمه التي أرضعته،

[١] حميه : كان عثمان رضي ا لله عنه أبا " أم أبان " زوج مروان .

[٢] شنفوا له : تنكّروا له .

[٣] يزبره : يزجره ، يكفّه .

[٤] الطبقات الكبرى ٥/٣٦ .

[٥] ضرب ابن البياع عِلباء مروان ، وصلَمَ أذنه . والعلباء : العصبُ الممتد بين العنق وأعلى الكتف .

وهي فاطمة الثقفيّة ، فقالت : إن كنت تريد قتله فقد قتلته ، فما تصنع بلحمه أن تبضّعه ؟ فاستحيا عبيد بن رفاعة منها فتركه .

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

لّما قُتِلَ عثمان رضي ا لله عنه سار طلحة والزبير وعائشة رضي ا لله عنهم إلى البصرة يطلبون بدم عثمان ، وخرج معهم مروان بن الحكم ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً ، حتى ارتُثّ[1] ، فحُمل إلى بيت امرأة من عنزة ، فداووه ، وقاموا عليه .

قال ابن سعد : وانهزم أصحاب الجمل ، وتوارى مروان حتى أُخذ له الأمان من علي بن أبي طالب ، فأمّنه . فقال مروان : ما تقرني نفسي حتى آتيه فأبايعه ، فأتاه فبايعه . ثم انصرف مروان بن الحكم إلى المدينة فلم يزل فيها حتى ولي معاويةبن أبي سفيان الخلافة ، فولّى مروان بن الحكم المدينة سنة اثنتين وأربعين ، فمكث بضع سنين ، ثم عزله ، ثم ولّاه المدينة ثانية ، فمكث أيضاً بضع سنين ثم عزله . وكان مروان إذا غاب عن المدينة خلال إمارته لها ينيب عنه أبا هريرة رضي ا لله عنهما .

ولّما وثب أهل المدينة أيام الحرة[2] على بني أمية أخرجوا عثمان بن محمد ، والي يزيد على المدينة ، كما أخرجوا بني أمية ، من المدينة ، فأجلوهم عنها ، وفيهم مروان بن الحكم ، فلما استقبل المهجّرون النازحون مسلم بن عقبة ، أخبره مروان عن أحوال المدينة ، ورجع معه حتى ظفر مسلم على

---

[1] ارتث : أثخن جراحا غير أنه لم يمت ، وإنما أغمي عليه وفيه رمق .

[2] وقعة الحرة جرت بين مسلم بن عقبة قائد يزيد ، وبين أهل المدينة ، وكان الظفر فيها لمسلم بن عقبة وجيشه .

ثوارها . فكتب مسلم بن عقبة ليزيد بن معاوية عن دور مروان في مؤازرته ، فلمّا ذهب مروان إلى الشام قدم على يزيد ، فشكر له ما صنعه مع قائده ، وقرّبه وأدناه .

معاوية الثاني بن يزيد

بقي مروان في الشام حتى مات يزيد بن معاوية ، وقد كان عقد لابنه معاوية الثاني بالعهد بعده ، فبايع له الناس ، وأتته بيعة الآفاق إلا ما كان من ابن الزبير ، وأهل مكة . فولي ثلاثة أشهر ، ويقال أربعين ليلة ، ولم يزل في البيت لم يخرج إلى الناس ؛ كان مريضاً ، فكان يأمر الضحاك بن قيس الفهري[1] يصلي بالناس بدمشق ، فلما ثقل المرض بمعاوية بن يزيد قيل له : لو عهدت إلى رجلٍ عهداً واستخلفت خليفة . فقال : وا لله ما نفعتني حياً فأتقلدها ميتاً ، وإن كان خيراً فقد استكثر منه آل أبي سفيان . لا تذهب بنو أمية بحلاوتها وأتقلد مرارتها ، وا لله لا يسألني ا لله عن ذلك أبداً ، ولكن إذا

---

[1] هو سيد بني فهر في عصره ، وأحد الولاة الشجعان ، شهد فتح دمشق ، وسكنها ، وشهد صفين مع معاوية ، وولاه معاوية رضي ا لله عنه على الكوفة سنة ٥٣ ، بعد موت زياد بن أبيه ، ثم ولاه دمشق . وكان مقدماً في عهد يزيد ، فلما جاء معاوية الثاني كان الضحاك هو الذي يصلي بالناس ، ومات معاوية الثاني ، فصار الضحاك يدعو لابن الزبير ، ولم يبايع مروان بن الحكم عندما نودي به خليفة في دمشق ، فقاتله مروان ، وقتله سنة ٦٤هـ ، في مرج راهط .

مت فليصل عليَّ الوليد بن عتبة ، وليصلِّ بالناس الضحاك بن قيس ، حتى يختار الناس لأنفسهم ، ويقوم بالخلافة قائم .

فلما مات صلى عليه الوليد ، وقام بأمر الناس الضحاك بن قيس .

انتشار دعوة ابن الزبير

بموت معاوية الثاني أخذت دعوة ابن الزبير تتفشى ، وصار يبدو للعيان أنها هي الغالبة ، وأنّ كل الأمصار سوف تبايع ابن الزبير رضي ا لله عنهما . فقد والاه النعمان بن بشير رضي ا لله عنه والي حمص ، وزفر بن الحارث صاحب قنسرين ، والضحاك بن قيس في دمشق ، وكتب ابن الزبير إلى الضحاك يعهد إليه ولاية الشام .

استخلاف مروان بن الحكم

لما رأى مروان بن الحكم رضي ا لله عنه مبايعة أمراء الأجناد لابن الزبير ، خرج يريد ابن الزبير بمكة ليبايعه ، وليأخذ منه أماناً لبني أمية . وخرج معه عمرو بن سعيد بن العاص .

فلما كانوا بأذرعات (درعا) لقيهم عبيد ا لله بن زياد مقبلاً من العراق . فقال لمروان : أين تريد ؟ فأخبره . فقال : سبحان ا لله، أرضيت لنفسك بهذا ، تبايع لأبي خبيب[1] وأنت سيد بني عبد مناف ! وا لله لأنت أولى بها منه . فقال له مروان : فما الرأي ؟

---

[1] أبو خبيب : كنية عبد ا لله بن الزبير رضي ا لله عنهما .

قال : أن ترجع ، وتدعو إلى نفسك ، وأنا أكفيك قريشاً ومواليها ، ولا يخالفك منهم أحد .

فقال عمرو بن سعيد : صدق عبيد الله ، إنك لجذم قريش[1] وشيخها وسيدها ، وما ينظر الناس إلا إلى هذا الغلام خالد بن يزيد بن معاوية[2] ؛ فتزوجْ أمّه ، فيكون في حِجرك[3] ، وادع إلى نفسك ، فأنا أكفيك اليمانية ، فإنهم لا يخالفونني ، على أن تبايع لي من بعدك .

قال : نعم .

فرجع مروان وعمرو بن سعيد ومن معهما ، وقدم عبيد الله بن زياد دمشق في يوم جمعة ، فدخل المسجد فصلّى ، ثم خرج ، فنزل باب الفراديس ، وجعل يركب كل يوم إلى الضحاك فيسلم عليه ، ثم يرجع إلى منزله ، فقال له يوماً –وكان عبيد الله ذا دهاء مثل أبيه زياد–: يا أبا أنيس ، العجب لك وأنت شيخ قريش تدعو لابن الزبير ، وتدع نفسك ، وأنت أرضى عند الناس منه . فادعُ إلى نفسك .فدعا إلى نفسه ثلاثة أيام ، فقال له الناس : أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل (يريدون ابن الزبير) ، ثم تدعو إلى خلعه من غير حدثٍ أحدثه ! فلما رأى ذلك عاد إلى الدعاء لابن الزبير . فأفسده ذلك عند الناس ، وغيّر قلوبهم عليه .

---

[1] جذم قريش : أصلها .

[2] خالد بن يزيد ، أخو معاوية الثاني .

[3] حجرك : بيتك .

. فقال له عبيد الله - ومكر

به - : من أراد ما تريد لم ينزل المدائن والحصون ، فاخرج عن دمشق ، واضمم إليك الأجناد .

فخرج الضحاك من دمشق . ونزل مرج راهط . وبقي عبيد الله بدمشق ، ومروان وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبد الله ولدا يزيد بن معاوية بالجابية عند خالهما حسّان بن مالك . وكتب عبيد الله إلى مروان : ان ادع الناس إلى بيعتك ، واكتب إلى حسان بن مالك فليأتك ، ثم سِر إلى الضحاك ، فقد أصحر لك .

فدعا مروان بني أمية ومواليهم فبايعوه ، وتزوج أم خالد بن يزيد ، وكتب إلى حسان بن مالك يدعوه أن يبايع له ، فأبى .

وعلم عبيد الله بن يزيد ، بذلك ، فقال لمروان : اخرج إليه فيمن معك من بني أمية . فخرج إليه مروان ومعه بنو أمية ، وحسان في الجابية ، والناس فيها مختلفون ، فدعاهم مروان إلى البيعة . فقال لهم حسان بن مالك : والله لئن بايعتم مروان ، ليحسُدنّكم علاقة سوط ، وشراك نعل ، وظلّ شجرة ، إن مروان وآل مروان أهل بيت من قيس . يريد أن مروان أبو عشرة ، وأخو عشرة ، فإن بايعتم له كنتم عبيداً لهم ، فأطيعوني وبايعوا خالد بن يزيد .

فقال رَوْحُ بن زنباع : بايعوا الكبير ، واستشبّوا الصغير .

فقال حسان بن مالك لخالد : يابن أختي ، هوايَ فيك ، وقد أباك الناس للحداثة ، ومروان أحب إليهم منك ومن ابن الزبير .

قال : بل عجَزْتَ .

قال : كلا .

فبايع حسان وأهل الأردن لمروان على ألا يبايع مروان لأحد إلا لخالد ابن يزيد ، ولخالد إمرة حمص ، ولعمرو بن سعيد إمرة دمشق وكانت بيعة مروان بالجابية في منتصف ذي القعدة لعام أربعة وستين . وقال مروان : إن يرد ا لله أن يتمم لي خلافة لا يمنعنيها أحد من خلقه .

مقتل الضحاك

امتنع الضحاك بن قيس في مرج راهط عن مبايعة مروان ، وجمّع أنصاره حوله ، فكانوا ثلاثين ألفاً ، فسار إليهم مروان ، وعلى ميمنته عبيد ا لله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد ، واقتتل الفريقان عشرين يوماً ، كان الظفر في ختامها لمروان ، وقتل الضحاك .

موت مروان

كان من المنتظر أن يجعل مروان ابنَ زوجته خالد بن يزيد وليَّ العهد ، لكنه آثر ولديه عبد الملك وعبد العزيز ، فعقد لهما بالخلافة من بعده ، وحرم خالداً ماكان وعده من قبل ، وشرطه عليه حسان بن مالك ، خال خالد ، عند بيعة مروان بالجابية . وكأن مروان أراد أن يقل من شأن خالد عند الناس لئلا يتعلق به أحد تعلقه بخليفة مُرتقَب ، وكان مروان إذا دخل عليه خالد أجلسه معه على سريره ، فدخل عليه يوماً ، فذهب ليجلس مجلسه الذي كان يجلسه ، فقال له مروان : تنح يابن رطبة الاست ، وا لله ما وجدتْ لكَ عقلاً .

فانصرف خالد وقتئذ مكسوفاً مغضباً حنِقاً ، ودخل على أمه –وهي بنت أبي هاشم زوجة مروان بن الحكم – وقال لها : فضحتني ، وقصرت بي ، ونكّست برأسي ، ووضعت أمري

قالت : وما ذاك ؟

قال : تزوجتِ هذا الرجل ، فصنع بي كذا وكذا . وأخبرها بما قال مروان .

فقالت له أمه – وقد سولت لها نفسُها أمراً – : لا يسمعْ هذا منك أحدٌ ، ولا يعلم مروان أنك أخبرتني بشيء من ذلك ، وادخل عليّ كما

كنت تدخل ، واطوِ هذا الأمر حتى ترى عاقبته ؛ فإني سأكفيكَهُ وأنتصر لك منه . فسكت خالد وخرج إلى منزله .

وأقبل مروان فدخل على أمّ خالد بنت أبي هاشم - زوجته - فقال لها : ما قال لك خالد ما قلت له اليوم ، وما حدثك به عني ؟

قالت : ما حدثني بشيء ، ولا قال لي .

فقال : ألم يشكُني إليك ، ويذكر تقصيري به ، وما كلمته به ؟

فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنت أجلُّ في عين خالد ، وهو أشد لك تعظيماً من أن يحكي عنك شيئاً ، أو يجد[1] من شيء تقوله ، وإنما أنت بمنزلة الوالد له .

فاطمأن مروان ، وظن أن الأمر على ما حكتْ له ، وأنّها قد صدقت .

وصارت تدبّر مع جواريها شيئاً في الخفاء ، يؤزّهن ما جُبِلَ عليه معظم بنات حواء من غدر ومكر ، وقصر عقل ، وتحكم الهوى ، إلا قليلا منهنّ .

وبينما كان مروان نائماً في إحدى المرات في قيلولة له ، وثبت هي وجواريها ، فغلّقن الأبواب على مروان ، ثم عمدتْ إلى وسادة فوضعتها على وجهه ، فلم تزل هي وجواريها يَغْمُمْنه حتى مات .

---

[1] يجد : يغضب

ثم قامت فشقت عليه جيبها ، وأمرت جواريها وخدمها فشققن وصِحن عليه ، وقلن : مات أمير المؤمنين فجأة وكان ذلك في هلال رمضان سنة خمس وستين .

ومات الذي أشرف على الموت من قبل مرتين ، يوم الدار ، ويوم الجمل ، وعجزت جيوش الضحاك أن تصل إليه ، والذي غير مجرى التاريخ ، إذ لولا مبايعة أهل الجابية له لكان الخليفةْ هو ابن الزبير ، ألم يبايعه أهل الحجاز ، والعراق ، ومصر ، وأمراء الشام ؟

نجا مروان من كل المخاطر من قبل ، وهولا يدري أن منتهاه على يد امرأته ، وأنه من مأمنه يُؤتى الحذِر[1] .

الشام بعد مروان

بايع أهل الشام بعد مروان ولدَه عبد الملك ، فكانت الشام ومصر في يد عبد الملك ، كما كانتا في يد أبيه ، وكان العراق والحجاز في يد ابن الزبير . ودامت الفتنة بينهما سبع سنين ، انتهت بمقتل ابن الزبير بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

---

(1) وتقدم خبرآخر أن موته إنما كان بمرض الطاعون .

إجماع أهل المدينة

كان مروان رضي ا لله عنه في ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يستشيرهم ، ويعمل بما يُجمعون له عليه .وكان قد جمع الصِّيعان[1] فعاير بينها حتى أخذ أعدلها فأمر أن يُكال به . فقيل صاع مروان وليست بصاع مروان ، وإنما هي صاع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، ولكن مروان عاير بينها حتى قام الكيل على أعدلها .

موقف أيمن بن خريم رضي الله عنهما

لما قاتل مروان بن الحكم الضحاك بن قيس أرسل مروان إلى أيمن بن خريم الأسدي رضي ا لله عنهما ، فقال : إنّا نحب أن تقاتل معنا .

فقال أيمن : إن أبي وعمي شهدا بدراً فعهدا إليَّ ألا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا ا لله فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك .

فقال : اذهب ، ووقع فيه ، فقال أيمن :

ولستُ مقاتلاً رجلاً يصلّي ... على سلطانِ آخر من قريش
أقاتل مسلماً في غير شيءٍ ... فليس بنافعي ما عشتُ عيشي
له سلطانه وعليّ إثمي ... معاذ الله من جهل وطيش

[1] الصيعان : جمع صاع ، وهونوع من المكاييل .

خاتمة

مروان بن الحكم بن أبي العاص (٢-٦٥ هـ) القرشي الأموي ، أبو عبد الملك ، وابن عم عثمان رضي الله عنه ، وصهره ، وكاتبه في خلافته .
ولد في السنة الثانية للهجرة ، وكان حين فُتحت مكة ، وفي حجة الوداع مميزاً ، ومن الثابت أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم[1] وهو طفل صغير مميز . وأرسل [2] عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الرحمن بن الأسود وبسرة بنت صفوان رضوان الله عليهم .

روى عنه سهل بن سعد ، وابنه عبد الملك ، وعلي بن الحسين ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب وابن عتبة . وكان يعد في الفقهاء .

كان مروان من المتعصبين لعثمان رضي الله عنهما ، وشهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها ، وصفين مع معاوية رضي الله عنه ، وكان أمير المدينة المنورة ، ثم خليفة المسلمين .

وهو أول من ضرب الدنانير الشامية التي يباع الدينار منها بخمسين ، وكتب عليها قل هو الله أحد .

---

[1] الإصابة لابن حجر ، الترجمة (٨٣١٨) .

[2] المرسل (في مصطلح الحديث) ما سقط من إسناده الصحابي ، كأن يقول التابعي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر الصحابي الذي أخذه عنه .